مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، المجلد 02 العدد 03 بتاريخ 2021/04/08م

ISSN: 2708-4663 **DNNLD :2020-3/1128**

الخطاب الاستهلالي والختامي في الحكاية العجيبة وأثرهما على المتلقي

الدكتورة صبرينة بوقفة الدكتورة جعفري عواطف

جامعة العربي التبسي– تبسة–، الجزائر

sabrinabougufa@gmail.com / a.dja@yahoo.fr

الملخص بالعربية:

يُعَرّف الأدبُ الشّعبي بأنّه ذلك الأدب الذي أنتجه فردٌ بعينِه ثم ذاب في ذاتية الجماعة التي ينتمي إليها مصورا همومها وآمالها وآلامها عن طريق أشكاله التعبيرية الشعبية المختلفة سواء كانت شعرا شعبيا، أغاني شعبية، ملاحم، أو نثرية سواء كانت مثلا أو لغزا أو أسطورة أو حكاية خرافية أو ما يطلق عليه بعض الدارسين أيضا تسمية الحكاية العجيبة، وهي ذلك الفن الأدبي النثري المليء بعناصر السِّحر والسَّحرة، أحداثها وأبطالها وشخصياتها وطبيعتها مُغرقة في الخيال والعجائبية والغرائبية ، هذا من ناحية المضمون، أما من ناحية الشكل فتتألف الحكاية من ثلاثة أجزاء : الجزء الافتتاحي أو ما يسمى أيضا بالخطاب الاستهلالي، المتن، ثم الجزء الختامي؛ لذلك جاءت هذه الورقة العلمية لتسليط الضوء على الدور التمثلي الذي تؤديه البنيتين الاستهلالية والختامية في خطاب الحكاية العجيبة ، والعلاقة الجامعة بين الخطاب الافتتاحي وباقي مكونات الحكاية وأثر ذلك على المتلقّي.

الكلمات المفتاحية: الحكاية العجيبة، الخطاب الاستهلالي،الخطاب الختامي، المتلقي.

Introductory and finale speech in the bizarre story and their impact on the recipient.

Dr.Sabrina Bougufa, Dr.Aouatef Djafri

Larbi Tebessi university-Tebessa-,Algeria.

sabrinabougufa@gmail.com / a.dja@yahoo.fr

Abstract:

Popular literature is defined as the literature produced by a particular individual and then melted into the self of the group to which a photographer has its concerns, hopes and pain through its various forms of popular expression, whether it be folk poetry, folk songs, compositions, or prose, whether it be example, mystery, myth, fairy tale, or what some scholars also call the wonder tale. Opening part or so-called opening speech, body, then closing part.This scientific paper therefore highlighted the role played by the opening and closing structures in

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

the Wonder Tale speech, the overarching relationship between the opening speech and other components of the story and the impact on the recipient.
Keywords: The wonder story, the opening speech, the closing speech, the recipient.

مقدمة:

تُعدّ الحكاية العجيبة من أهم الخطابات والأجناس الأدبية الأكثر شيوعا بين جميع فئات المجتمع، وذلك لكونها تعبر بحق عن الأمم وعن آمالها وآلامها وآهاتها، فهي صورة صادقة لما في النفوس المضطربة على الرغم من قالبها الحكائي المرن والزئبقي المنفتح على آفاق وعوالم لا متناهية مغرقة في الخيال والأساطير، حيث تأخذ بيدنا إلى عالم تغيب عنه ملامح الواقع المعاش المليء بالاضطرابات النفسية والاجتماعية ، نقابل خلالها شخوصا قد تكون إنسانا أو حيوانا أو نباتا أو كائنات أخرى، لم تكن في الحقيقة إلا من إبداع مخيلة الإنسان الشعبي البسيط.

ولقد احتلت الحكاية العجيبة مكانة أدبية هامة ،كما كانت محل اهتمام النقاد والأدباء والباحثين وعلماء النفس والآثار والأنثربولوجيا وغيرهم، وذلك لنصّها المرن المنفتح على آفاق لا محدودة؛ أبوابها مشرّعة على عوالم مجهولة ، وتتمثل بداية في الخطاب الافتتاحي للحكاية أو ما يسمى أيضا "الاستهلال" ذلك النص التمهيدي الذي نلج من خلاله إلى عوامل عجائبية، حيث يعد فعل الافتتاح شفرة للخروج من عالم الحقيقة لنتيه بعقولنا ونلج بها إلى رسالة ذات أبعاد اجتماعية وسياسية ودينية وحتى اقتصادية، وعلى أساسها تتوالى الأحداث لنصل في الأخير إلى البنية الختامية في الحكي ،والتي تعبّر عن لحظة تتويج سيرورة الأحداث وبالتالي الإيذان بدعوة الأذهان والعقول إلى العالم الواقعي.

من هنا تبادرت إلى أذهاننا جملة التّساؤلات الآتية:

- ما هي الحدود المفاهيمية للخطابين الافتتاحي والختامي؟.
- ما هي الانطباعات والآثار التي يمكن أن يتركها هذين النصين على نفسية المتلقي؟.

واستنادا إلى هذه التساؤلات جاءت المداخلة موسومة بـ: "**الخطاب الاستهلالي والختامي وأثرهما على المتلقي**"، وقد وقع الخيار على نماذج من نصوص الخطابين الاستهلالي والختامي في الحكاية العجيبة وتحديدا في ولاية "تبسة" الواقعة أقصى شرق الدولة الجزائرية. وتهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

جانب من جوانب دراسة الأدب الشعبي التي باتت ضئيلة إلى حد ما ،هذا من جهة، ومن جهة أخرى تعريف الدول الشقيقة بموروثنا الشعبي وثقافاتنا المغرقة بجذورها في عصور غابرة في الزمن السحيق.

وقبل الحديث عن دور كلّ من الخطاب الاستهلالي والختامي في الحكاية العجيبة وأثرهما على المتلقّي، وجب الحديث أوّلا عن مفهوم الحكاية العجيبة، فما المقصود بها؟.

1- **الحكاية العجيبة: المفهوم والدلالة:**

أ- لغة: يُعرّف ابن فارس (329-395هـ) مصطلح الحكاية في معجمه "مقاييس اللغة" بقوله: «حكي الحاء, والكاف وما بعدها معتل، وهو إحكام الشيء بعقد أو تقرير، يقال حكيت الشيء أو حاكيته، وذلك أن نفعل مثل فعله الأول».[1]

ومن هنا نستنتج أن الحكاية في جذرها اللغوي تعني إعادة فعل الشيء وتعتبر هذه السمة من أهم مميزات الحكاية، حيث تتناقل من جيل إلى جيل عن طريق الرواية الشفوية.

أما ابن منظور (1232-1311م) فيعرّف الحكاية في معجمه "لسان العرب" بقوله: «الحكاية كقولك حكيت فلانا وحاكيته فعلت مثل فعله، أو قلت مثل قوله، وحكيت فلانا وحاكيته فعلت مثل فعله، أو قلت مثل قوله، وحكيت عنه الحديث، حكاية ابن سيدة، وحكوت عنه حديثا في معنى حكيته، وفي الحديث ما سرني أني حكيت إنسانا وأن لي كذا وكذا أي فعلت مثل فعله (...) والمحاكاة المشابهة، تقول فلانا يحكي الشمس حسنا ويحاكيها، وحكيت عنه الكلام حكاية، وأحكيت العقدة أي شددتها».[2] أي أن الحكي هونقل الكلام وتقليده.

ويوضّح أرسطو (384-322هـ) أن المحاكاة غريزة في الإنسان يجد فيها الناس لذة وهي: «المتعة الحاصلة عن تلقي أو إلقاء الحكايات الشعبية، وهي تلبية لخياله المتدفق من ناحية وتلبية لاحتياجاته النفسية من ناحية أخرى».[3]

وبذلك فالحكاية تحقق متعة مزدوجة بين متلقيها وراويها، تلك المتعة التي تقود إلى تلبية احتياجات نفسية عن طريق ما تحمله من أخبار تكشف عن صورة المجتمع ومواضيعه الحياتية.

وهي فن أدبي قديم تعبّر في مضمونها عن واقع مجتمعي معيش، أو هي نسج خيال راوٍ بعينه ثم تناقلت عبر الأجيال عن طريق الرواية الشفوية، وبالتالي فهي تعبير عن رأي الشعب وآماله إزاء حوادث

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

عصره وأحواله السياسية والاجتماعية ومن ثم فهي جزء مهم من تراثه».[4] كيف لا وهي وليدة رحم المجتمع الشعبي، لذلك فهي تنقل لنا بين سطورها صورة عن أحواله وتراثه كل ذلك في قولبة خيالية حكائية عجائبية مبدعة.

ب- العجيبة:

تعدّدت دلالة مصطلح العجيب واختلفت بين المصادر والمراجع، ويعرّف ابن منظور المصطلح بقوله: «**العجب والعجب: إنكار ما يرد عليه لقلة اعتياده وجمع العجب أعجاب، قال:**

يا عجبا للدهر ذي الأعجاب الأحدب البرغوث ذي الأنباب

والاستعجاب شدة التعجب والاسم: العجيبة والأعجوبة (...)

قال الزّجاج: أصل العجب في اللغة أن الإنسان إذا رأى ما يكره ويقل مثله، قد عجبت من كذا وقيل بل عجبت معناه بل عظم فعله عندك، وقد أخبر الله عنها في غير موضع بالعجب من الحق، قال: أمان للناس «**بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون إن هذا لشيء عجاب**»، وابن الأعرابي قال: العجب: النظر إلى شيء غير مألوف ولا معتاد»[5].

إنّ فعل العجب والتّعجب سواء في معجم لسان العرب أو غيره من المعاجم يصب في محور دلالي واحد وهو النظر والتبصر في ظواهر غير مألوفة، لم يعتد الإنسان عليها ولم يألفها في حياته.

أما "ابن فارس" فيعرف مصطلح "العجب" في معجمه "مقاييس اللغة" بقوله: «**عجب: العين والجيم والباء أصلان صحيحان يدل أحدهما على كبر واستكبار الشيء (...) والاستعجاب شدة التعجب، يقال: هو مستعجب والمتعجب مما يرى، وأعجبني هذا الشيء وقد أعجبت له وشيء معجب إذا كان حسنا جدا**»[6]، كما ذُكِر المصطلح في العديد من الصور القرآنية يقول تعالى: «**قل أوحي إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا**»[7]. وفسّر الطبري الآية بقوله: «يا محمد أوحى الله إليك أن جماعة من الجنس استمعوا لهذا القرآن فقالوا لقومهم إنا سمعنا قرآنا عجبا»[8]. أي قرآنا بديعا في فصاحته وبلاغته وقصصه وأخباره يدعو الناس إلى الحق والخير ونبذ الباطل والحرام والشر، كما نجد دلالة أخرى لمصطلح العجيب في سورة الكهف، وذلك في قوله تعالى: «أم حَسِبت أنّ أصحاب الكهف والرّقيم كانوا من آياتنا عجبًا»[9] ، هل حسبت يا محمد أن «خبر أصحاب الكهف الذي أخفي

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

عن الناس كان عجبا، فإني ما خلقت من السماوات والأرض وما فيهن أعجب من أمر هؤلاء».[10] إذ هو علّام الغيوب لا تخفى عليه خافية فلا يصح على الله التعجّب.

ج- الحكاية العجيبة:

تعرّف الحكاية العجيبة بأنها ذلك الفن الأدبي النثري الشعبي القديم الذي يرتكز في أساسه على البنية السردية الحكائية الخيالية، وهي أيضا «عالم الظواهر غير المألوفة وغير القابلة للتفسير، أو هي التصورات الوهمية التي تتعارض مع مجموعة القوانين التي تحكم العالم الخارجي الموضوعي أو تحكم سلسلة تصوراتنا الذاتية»[11] ومما يتراءى لنا من التعريف الاصطلاحي أن الحكاية العجيبة ومن خلال بنيتها السردية تنتمي في مضمونها إلى عالم الخوارق وذلك بالاعتماد على شخصيات خيالية تمتلك قوى فوق طبيعية يكون السحر عنصرا فاعلا في حلقة أحداثها، وهي بذلك تتعارض مع كل ماهو واقعي.

وهي أيضا ما تعارف عليه بعض الدارسين تحت تسمية الحكاية الخرافية، والخرافة في اللغة «الخرَف بالتحريك فساد العقل من الكبر، وقد خرِف الرجل بالكسر، يخرف خرفا فهو خرف، فسد عقله من الكبر، والأنثى خرفة (...) وقد أخرفت الشاة، ولدت في الخريف ،وخرف النخل خرفا واخترفه اجتناه».[12] كما تعني «الحديث المستملح من الكذب».[13]

ومن هنا نستنتج أن الخرافة مشتقة من مادة "خرف" والتي تعني التكلم بكلام غير مفهوم لا يعقله السامع، وذلك نتيجة لفساد العقل، أي أن الخرافة في معناها اللغوي تعني مناقضة ومعارضة أحداث وقوانين واقعنا الاجتماعي، أما عن بنيتها السردية فهي عالم مدهش فوق الطبيعي شخصياتها وأبطالها من البشر أو من الحيوان أو من السحرة أو من نسج خيال الراوي الشعبي، ظلت تنتقل عن طريق الرواية الشفوية منذ آلاف السنين.

ويؤكّد "مصطفى يعلى" أن سبب إطلاقه مصطلح العجيب على هذا النوع من القصص الشعبي يرجع إلى أنه « مبني أساسا على ما هو عجيب، ومدهش ولما يمتلئ به من بطولات فوق الطبيعية مثيرة وأحداث خارقة، وشخصيات غير مرئية، وفضاءات مؤسطرة غريبة وأزمنة لا منطقية، وما إلى ذلك مما يثير العجب في النفس، فلا قوام لهذا النوع دون العوالم العجائبية الشيقة».[14] وبذلك فالباحث أكد أن البنية السردية للحكاية العجيبة مبنية على كل ماهو فوق طبيعي سواء تعلق الأمر بشخصياتها التي قد تكون

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

حيوانات تعقل وتتكلم أو غير مرئية، أو عالمها المحمّل بدلالات الأسطرة، أو بزمانها ومكانها الخارجين عن حدود المنطق.

كما عرّفتها "نبيلة إبراهيم" بقولها: « هي رحلة البطل في عالم سحري مجهول تكتنفه الخوارق من أجل الحصول على شيء مجهول».[15]

ولا يختلف هذا المفهوم عن تعريف "محمد سعيدي" للحكاية العجيبة، يقول في ذلك الحكاية العجيبة « هي في الأصل تجربة وقعت للبطل بعد سلسلة من المخاطر والمغامرات تلعب فيها الخواطر دورا رئيسيا».[16]

وقد فصلنا تسمية هذا النوع الأدبي بالعجيب لأنّ روايتها تحدث العجب في النفس انطلاقا من بنيتها الحافلة بالعجائب أولا، ثم عالمها العجيب ثانيا والذي يصور رحلة البطل نحو عالم مدهش حافل بعناصر السحر والخوارق الفوق طبيعية « إذ تصوّر هذه الحكاية عالما عجيبا مليئا بعناصر السحر والسحرة والأدوات الخارقة والحيوانات التي تعقل وتتكلم أحيانا والجن والعفاريت»[17].

ومن هنا يتبين أن هذا النوع الأدبي عالم نابض بالعجائبية الفاتحة أشرعتها على عوالم لا حدود فيها بين العقل والمنطق، فأفعال شخصياتها وأبطالها الذين قد يكونون من الجنّ أو الحيوان أو العفاريت الخارقة للعادة، بعيدة كل البعد عن الطبيعية الإنسانية تكون السلطة الأولى فيها للسحر والذي يعد المحرك الرئيسي لحلقة أحداثها، وعلى هذا الأساس تختلف الحكاية العجيبة كل الاختلاف عن الحكاية الشعبية والتي ترتبط في أساسها بالحياة اليومية للمجتمع الشعبي، حيث تصور الواقع وتنقله وتحدث موازنة بينه وبين ما ينبغي أن يكون عليه، كل ذلك في قولبة حكائية لا وجود لعنصر السحر بين أركانها.

2- جذورها التاريخية:

تعد الحكاية العجيبة من أقدم أشكال التعبير في الأدب الشعبي وهي جنس وصل إلينا قبل أن يتعلم الإنسان القراءة والكتابة، «حيث لازالت تحتفظ ببعض البصمات منذ العصر القديم المرتبط بحياة الإنسان البدائي ومعتقداته (...) فآثار الفلسفة والمعتقدات القديمة لازالت حية في ثنايا النصوص»[18]، وتعود جذور الحكاية العجيبة إلى أصول غابرة في الزمن السحيق، وذلك بتعبيرها عن نفسية الإنسان المتباينة أحيانا والمتشابهة أحيانا أخرى ومشاعره وأحلامه وآماله، وقضاياه في الحياة عن طريق استخدام رموز ودلالات مرتبطة بديانات الشعوب الأولى ومعتقداتها.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

وأكد ذلك الباحث الألماني "فريدريش فون دير لاين" في كتابه "الحكاية الخرافية" حيث يرد هذا النوع إلى أصوله أي الديانات التي عرفتها واعتنقتها شعوب العالم القديمة ورأى: «أن معظم الحكايات الخرافية تسبق كل تاريخ مدون وترجع إلى عالم آخر من الدين والفكر والاعتقاد»[19]. إن الرموز والدلالات المنبثقة من رحم حكاياتنا العجيبة والمرتبطة بديانات قديمة تنقل لنا بين طياتها حقائق حضارية وأفكار ومعتقدات اعتنقتها شعوب العالم القديمة البعض منها لا يزال سائدا والكثير منها بائد.

ومع أن أصولها تعود إلى ديانات وأساطير يمكن القول عنها أنها من محض خيال الإنسان البدائي، إلا أن قيمتها تجلت في بعثها من جديد على يد الأدباء الغرب وحتى العرب الذين ألبسوها الطابع الفني وأفردوها بكتب ودراسات لا تحصى ولا تعد، فاعتمد البعض على جمعها وتصنيفها ، ونشير في ذلك إلى الحكايات التي صنفت في فهرس "أنتي آرن" و "ستيث طومسون" كما أخذ الأخوين "جريم" "Grimm" على عاتقهما جمع الحكايات العجيبة من أصولها قدر المستطاع، واهتم البعض بتحليلها وأفردوها بمؤلفات نالت شهرة ذائعة الصيت، من أبرزها كتاب: "الخرافات" أو "les fabliaux" لـ: "جوزيف بيديه" الذي اعتنى فيه بتحليل بنية الحكاية، ورأى أنها: «كائن حي وما دامت كذلك فهي تخضع للعديد من الشروط للحفاظ على حياتها (...) إنها أساسا تتكون من مجموعة من الأعضاء».[20] وبذلك فبيديه أكد أن الحكاية تتألف من مجموعة من العناصر التي تتمثل في مختلف الأفكار والاخلاقيات والطباع التي تدخل في تركيبها، كما انتهج طريقة عقد المقارنات بين القصص التي تختلف في عناصرها الشكلية دون الاهتمام بمعناها

.3- الخطاب الاستهلالي في الحكاية العجيبة:

أ- الاستهلال لغة:

تُعرّف لفظة الاستهلال في معجم المعاني الجامع بـ: «استهل، يستهل، استهلل، استهلالا فهو مستهل، والمفعول مستهل للمتعدي، استهل هلال الشهر، ظهر، استهل المولود: رفع صوته بالبكاء وصاح عند الولادة (...) استهل الشهر: أهل، استهللنا الشهر: ابتدأ،اه، أو رأينا هلاله، استهل الوجه: تهلل، استهل خلال الشعر: ظهر، استهل الموسيقار الحفل بقطعة موسيقية رائعة: بدأه، افتتحه استهل كلامه بالتحية، (...)استهل القوم الشهر: رأوا هلاله، استهلت العين: انهلت، دمعت»[21].

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

ومن هنا يتبين أن لفظة الاستهلال تنحصر في معاني الابتداء والافتتاح، وعلى هذا الأساس يعرف الخطاب الافتتاحي في الحكاية العجيبة حسب "فلاديمير بروب" بأنه ذلك: «النص التمهيدي الذي يعطينا لمحة عن الأسرة أو المدينة أو المكان الذي ستقع فيه الأحداث، أو الذي ستنطلق منه، ويتم خلاله التركيز على تعداد أوصاف الشخصيات التي ستتقمص فيما بعد دور البطل، كما أن الاستهلال ليس وظيفة وهو متغير من حكاية إلى أخرى، إلا أن وجوده في مستهل الحكاية يعين على إضاءة الخلفيات التي تبنى عليها الأحداث فيما بعد»[22].

وللخطاب الاستهلالي أهمية كبرى في المنجز السردي حيث يعد المفتاح الأوحد لولوج بوابة النص وفهمه وتفحص جميع جنباته، ومن هذا المنبر يرى "بارت" «أن الافتتاح منطقة خطرة في الخطاب، فابتداء الخطاب فعل عسير؛ إنه الخروج من الصمت، فدراسة مفتتحات السرد إذن هامة جدا »[23]. ذلك كون الخطاب الافتتاحي يساهم في ولوج متلقي الحكاية وراويها إلى أزمنة لا محدودة وإلى عوالم مجهولة لا حدود فيها للعقل والمنطق، يكون السحر واللامعقول العناصر الأساسية في تحريك حلقة الأحداث، وإذا ما كان «الاستهلال: متقنا ذكيا موحيا، أمكن أن يقود إلى شفرة سرد القصة التي تثير الحكاية بموجبها الأسئلة، وتخلق التشويق والغموض قبل حلها، فمن يتقن الابتداء بحسن المعالجة والاختتام؟، فبهذا يخلق الاستهلال عنصرا استقباليا عالي الكفاءة، يمكن للمؤلف والمتلقي من المشاركة في خلق النص، وتلك مزية العمل الأصيل الذي يصل بالنص المبدع عبر المستويات السيميولوجية والإشارات (...) والأيقونات ثم الرموز التي تتنوع فيها الدلالة وتنكشف، وتصبح العلاقة بين الدال والمدلول افتراضية تأويلية مفتوحة».[24]

4- نماذج من نصوص الخطابين "الاستهلالي والختامي" في الحكاية العجيبة في ولاية "تبسة" :

يُطلق على الحكاية العجيبة في منطقة تبسة وتقع في أقصى الحدود الشرقية للدولة الجزائرية باللهجة العربية الدارجة على الألسن تسمية "محاجية" أو "حجّاية"، ويطلق عليها باللهجة الشاوية وهي أحد اللهجات الأمازيغية المتداولة في المنطقة تسمية "لحكايات نخرف" أي الحكايات الخرافية، كما يطلق عليها أيضا لفظة " لحجايات" أي الحكايات، ويقال أيضا "لحكايات نوزيك" أي حكايات الزمن القديم الزمن الحكائي المجهول الذي لا حدود فيه بين العقل والمنطق.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

تقول إحدى الروايات: «يقّراك زيك... زيك... زيك، أي قالك بكري ... بكري .... » فهذه العبارة تجعل المتلقي يلج مباشرة في الجو العام للحكاية المليء بعناصر السحر والخيال والخوارق، كما تعتبر الصيغ السردية بمثابة لازمة سردية تنقل المستمع بمفعول سحرها المشوق وتفصله عن عالم الواقع إلى عوامل عجائبية مدهشة، «فهي أشبه بكلمة السر التي تنفتح بها مغارة علي بابا على مصراعيها فبمجرد النطق بها ينفتح في ذهن القارئ، دائرة التقاليد الأدبية للحكاية الشعبية على بابها الأرحب محركة في ذهنه آلة تظل تدور وتندفع في حركتها، ولا تتوقف هذه الحركة إلا بكلمات أخرى»[25]، وتتمثل في الصيغ الختامية للحكاية التي تعيد المتلقي إلى عالم الحقيقية والواقع المجرد.

كما تسمى الحكاية العجيبة باللهجة القبائلية "ثماشهوتس" وأحيانا "ثحجيش" أي "الحكايات" حيث تروى في جو يمكن القول عنه أنه طقوسي في الليل عند المدافئ وتحت أغطية الصوف، وتحكي بالدرجة الأولى لصغار السن حيث يجتمع الأطفال حول الأم أو الجدة بصمت تام، وإنصات هام مع تركيز جاد لتحكي مغامرات أبطال الحكايات.

كما أن هناك من يحرص على عدم تداولها نهارا بدعوى أن من يرويها يصاب المعني أو أحد أولاده بمرض الصلع أو العمى، وتحكي بالدرجة الأولى لصغار السن، أي الأطفال، وذلك لغرض واحد وهو «أن يتعلموا فكل شيء حقيقي بالنسبة إليهم، لذا كان على كاتب الأطفال أن يتوخّى الحذر فهم عجينة طرية تمتص كل ما يصل إلها وتصدقه».[26]

وتتميز الحكاية العجيبة في منطقة تبسة بشكلها الطويل واستغراقها زمنا طويلا في روايتها، كما تحتل الجدّات والنسوة المصدر الأول الراوي لهذا الجنس الأدبي الشعبي مقارنة بالرجال، ويرجع السبب في ذلك أن الرجال قديما كانوا مهتمين أكثر بالبحث عن فرص العيش في المدن والأراضي الزراعية (موسم الزرع، الحرث، الحصاد). وتبقى أهم خاصية لها تداولها عن طريق الرواية الشفوية متوارثة جيلا بعد جيل تحمل بين ثناياها كثيرا من المآسي التي مر بها المجتمع الشعبي، وبذلك فهي صورة صادقة لما في النفوس المضطربة إذ أن أسلوبها المشوق يدفعنا إلى التحرك في عالمها المجهول، وما يميزها أكثر أنها تتضمن صيغا سردية مؤداة عند افتتاح روايتها معنى الانتقال من الواقع إلى الخيال فيقال في منطقة تبسة على سبيل المثال:

أ- يا سادة يا مادة ربي يدلنا ويدلكم على الخير والشهادة يرد السامعون بقولهم: "آمين، آمين".

ب- يقّراك زيك أو ينّام زيك: "قالك بكري".

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

ج- قالك ما قالك يستر حالنا وحالك، والسامعين يقولوا: "آمين".

د- آس سقوسان: في يوم من الأيام.

أما باللهجة القبائلية تكون بدايتها كما يلي:

أ- يون أواس: أي في يوم من الأيام.

ب- زيك أبي: في قديم الزمان.

جـ- أما شهو: ما حاجيتك.

وفي اللحظات التي يصل فيها الراوي إلى نهاية الحكاية يولد شعور لدى المستمعين بالعودة إلى عالمهم، عالم الحقيقة والواقع عن طريق الصيغ السردية التعبيرية الختامية الآتية:

أ- قصتنا دخلت الغابة والعام الجاي تجينا صابة.

ب- قصتنا دخلت الديس والعام الجاي نشبعوا رفيس*

ب- قصتنا دخلت الهنشير**، وشبعنا قمع وشعير.

د- وانكسر البندير، واتفرقت المداحة.

هـ- تفرقوا لا تتحرقوا.

5- خاتمة:

أسفرت هذه الدراسة على جملة من النتائج يمكن إجمالها في العناصر التالية:

1- تعد الحكاية العجيبة ذلك العالم الخيالي العجائبي الفريد من نوعه شخصياتها وأبطالها وأحداثها بعيدة كل البعد عما يمت للواقع بصلة.

2- اختار الدارسون إطلاق مصطلح العجيب على هذا النوع الأدبي؛ وذلك لكونها مبنية أساسا على ماهو عجيب ومدهش، فضاءات مؤسطرة، وأزمنة لا منطقية.

3- ترجع الأصول التاريخية للحكاية العجيبة إلى الإنسان البدائي الذي غنى ورقص ونحت وتصارع مع مظاهر الطبيعة، كما أن أصولها ترجع إلى الأساطير والديانات التي اعتقدت بها الشعوب الأولى.

4- تتألف البنية السردية للحكاية العجيبة من الافتتاح أو الاستهلال، المتن ثم الخطاب الختامي يعلن عن نهاية الحكاية وعودة المستمعين إلى عالم الواقع.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

5- تتمثل مهمة الخطاب الافتتاحي للحكاية العجيبة في كونه يساهم في ولوج كل من المتلقي والراوي إلى أزمنة لا محدودة وإلى عوامل مجهولة لا حدود فيها للعقل والمنطق.

6- بالرغم من عالم الحكاية العجائبي وأزمنتها اللامحدودة وشخصياتها المغرقة في الغرابة وأحداثها المليئة بعناصر السحر، إلا أنها تعبر في مضمونها عن واقع المجتمع الشعبي، آماله، وآلامه، آهاته وتخوفاته في قالب عجائبي مدهش.

*** قائمة المصادر والمراجع:**

1-إبراهيم نبيلة: أشكال التعبير في الأدب الشعبي،دار النهضة، القاهرة، مصر، دط، دت.

2- ابراهيم نبيلة: الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق، مكتبة القاهرة، مصر،(د.ط)، (د.ت) .

3- ابن منظور، لسان العرب، مادة (حكى)، دار صادر، بيروت، لبنان، ج 4، (د.ط)، (د.ت).

4- بارت رولان ، التحليل النصي، تر: ع الكبير الشرقاوي، منشورات الزمن، المغرب.

5- بروب فلاديمير: مورفولوجيا الحكاية الخرافية، تر أبو بكر باقادر، محمد عبد الرحيم نصر، منشورات النادي الأدبي الثقافي، جدة 1989.

6- بن فارس أبو الحسن أحمد: مقاييس اللغة، ج 2، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، مصر، د ط، 1979.

7- حرب طلال: أولية النص، نظرات في النقد والقصة والأسطورة، والأدب الشعبي، المؤسسة الجامعية للدراسات، لبنان، 1999.

8- ديرلاين فريدريس فون: الحكاية الخرافية،ترجمة نبيلة ابراهيم، دار غريب، القاهرة، مصر ، دط،دت.

9- زغب أحمد و محلو عادل: دراسات في أدب الأطفال، إصدار رابطة الفكر والإبداع،،الوادي، الجزائر، (د.ط)، (د.ت).

10- ستار ناهضة: بنية السرد في القصص الصوفي (المكونات، الوظائف، والتقنيات)، اتحاد كتاب العرب، سوريا.

11- سعيدي محمد: الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ط)، 1998.

12- السيد إبراهيم: نظرية الرواية، دار قباء القاهرة، مصر 1998، (د.ط).

13- الطبري أبو جعفر محمد بن جرير: مختصر تفسير الطبري، مكتبة رحاب، لبنان، ط 1، 1987.

14- عبد الملك أشهبون: خصوصية الخطاب الافتتاحي في الحكاية الشعبية، مجلة الثقافة الشعبية، العدد 27، البحرين.

15- العوبي رابح: أنواع النثر الشعبي، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، (د.ط)، (د.ت).

16- معجم المعاني الجامع(عربي- عربي): مادة (استهل) www.almaany.com › dict › ar-ar

17- مهنا غراء حسين: أدب الحكاية الشعبية، الشركة المصرية العالمية، لبنان، ط 1، 1997.

18- يعلى مصطفى: القصص الشعبي بالمغرب، "دراسة موروفولوجية" شركة المدارس، الدار البيضاء، المغرب ط 1، 1999.‹

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

• **هوامش:**

[1] أبو الحسن أحمد بن فارس: مقاييس اللغة، ج 2، تح عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، مصر، د ط، 1979، ص 92.

[2] ابن منظور، لسان العرب، مادة (حكى)، دار صادر، بيروت، لبنان، ج 4، (د.ط)، (د.ت)، ص 169.

[3] نبيلة ابراهيم: الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق، مكتبة القاهرة، مصر،(د.ط)، (د.ت) ، ص 236.

[4] رابح العوبي: أنواع النثر الشعبي، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، (د.ط)، (د.ت)، ص 35.

[5] ابن منظور: لسان العرب، مادة (ع ج ب)، ج 7، ص 581.

[6] أحمد بن فارس أبو الحسن: مقاييس اللغة، مادة (عجب)، ج 02، ص 244.

[7] سورة الجن: الآية 01.

[8] أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: مختصر تفسير الطبري، مكتبة رحاب، لبنان، ط 1، 1987، ص 45.

[9] سورة الكهف، الآية 09.

[10] المرجع نفسه، ص 290.

[11] غراء حسين مهنا: أدب الحكاية الشعبية، الشركة المصرية العالمية، لبنان، ط1، 1997، ص 125.

[12] المرجع نفسه، ص 125.

[13] ابن منظور: لسان العرب، مادة (خرف)، ج 5، ص 65.

[14] مصطفى يعلي: القصص الشعبي بالمغرب، "دراسة موروفولوجية" شركة المدارس، الدار البيضاء، المغرب ط 1، 1999، ص 46.

[15] نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي،دار النهضة، القاهرة، مصر، دط، دت، ص87

[16] محمد سعيدي: الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ط)، 998، ص 57.

[17] طلال حرب: أولية النص، نظرات في النقد والقصة والأسطورة، والأدب الشعبي، المؤسسة الجامعية للدراسات، لبنان، 1999، ص 127.

[18] محمد سعيدي: المرجع السابق، ص 56.

[19] فريدريس فون ديرلاين: الحكاية الخرافية،ترجمة نبيلة ابراهيم، دار غريب، القاهرة، مصر ، دط،دت. ص 9.

[20] المرجع نفسه، ص 10.

[21] المعجم الجامع: مادة (استهل).

[22] فلاديمير بروب: مورفولوجيا الحكاية الخرافية، تر أبو بكر باقادر، محمد عبد الرحيم نصر، منشورات النادي الأدبي الثقافي، جدة 1989م، ص 83.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

[23] عبد الملك أشهبون: خصوصية الخطاب الافتتاحي في الحكاية الشعبية، مجلة الثقافة الشعبية، العدد 27، البحرين، نقلا عن رولان بارت، التحليل النصي، تر: ع الكبير الشرقاوي، منشورات الزمن، المغرب، ص 37.

[24] ناهضة ستار: بنية السرد في القصص الصوفي (المكونات، الوظائف، والتقنيات)، اتحاد كتاب العرب، سوريا، ص 87-88.

[25] السيد إبراهيم: نظرية الرواية، دار قباء القاهرة، مصر 1998، (د.ط)، ص 99.

[26] أحمد زغب وعادل محلو: دراسات في أدب الأطفال، إصدار رابطة الفكر والإبداع، (د.ط)، (د.ت) ،الوادي، الجزائر، ص 51.

* طبق شعبي معروف في الدولة الجزائرية تتكون في الأساس من التمر المطحون والدقيق.

** المكان الخالي.